لكنّ الملك حار في الديباجة وقال بعد تردّد: «بلغني أيّها الأميرة السعيدة ذو العقل الرشيدة،» قبل أن ينتبه إلى الخطأ ويتلعثم من جديد في حضرة الأميرة التي توقّفتْ عن الحكي، فأشفقتْ عليه وقد مرّ شطر من الليل، وأقنعته بأن يقول «بلغني» فقط ليدخل بعدها في لبّ الحكاية. ولمّا فعل ذلك زادت حيرته والعرقُ يتصبّب منه في زمن الشتاء، ورأى أنّ الحكايا التي يمكن أن تخطر في باله كان قد سمعها منها بالفعل.

❖ ❖ ❖

وهكذا كانت تلك الليلة هي الأسوأ من عمر شهريار الذي أدرك أنه أدخل نفسه في قفص أُغلق عليه من الخارج بالمفتاح، والمفتاح خطفه طائرٌ عملاقٌ وطار به إلى جزائر واق الواق. وشعر الملك بالحمّى تأكل عظامَه، وبالعرق البارد يتصبّب من جبهته، قبل أن يأتيه طوقُ النجاة، فتشفق شهرزاد عليه، ليأمرها بعد ذلك بالعودة إلى استئناف حكيها من جديد، وهو يضحك ضحكته الصفراء، ويقول لها إنه كان يمازحها فقط.

وما غاب عن ذهن شهريار ولم يغب عن بال شهرزاد أنّ حادثة تلك الليلة ستصبح جزءًا من متن الليالي، إذ ستتناقلها الألسنُ قبل أن تُكتب في ذلك المخطوط الذي عمد إلى الإغلاق عليه رغبةً في وأد حكاية تلك الليلة.

رواية عن إحدى أكبر الشخصيات الخطرة في التاريخ الإنساني، أبي حامد الغزالي، عن يتمه المبكّر وطفولته البائسة المحرومة من حنان الحب، عن تجربة الحب الآدميّ مع حوّاء، عن خوضه الحروبَ الفكرية والعقديّة. نخاف عليه حين استهلّ خصومُه من الباطنيّة سياسةَ الاغتيالات السياسيّة. ونعاني لأجله حين يصاب بذعر شديد، فيُعتقل لسانه عن الكلام ويَترك التدريس في نظاميّة بغداد ليخرج هائمًا على وجهه إلى الشام وبيت المقدس. لكنّنا نشعر بالأمل حين يولد من جديد ويسلك طريق التزهُّد والانقطاع، ويعيش حياة الصفاء الروحيّة التي يجد فيها السعادة المنشودة. واليوم بعد مرور تسعمائة سنة على وفاة هذه القمة الإنسانيّة الكبرى، يدعونا الكاتب إلى لحظة تدبّر في سيرة أبي حامد الكثيفة بالأحداث والتقلُّبات، والتفكير في تركته، لبعث روح الإحياء من جديد في إنسانيّة القرن الحادي والعشرين...